الشعائر الحسينية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية والعقل: دراسة تحليلية في الوظيفة والدلالة والغاية

م. د. أنور عبد علي حميد

كلية الامام الكاظم(عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة

lecbasra1@iku.edu.iq

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
ربيع الأول - ١٤٤٧هـ ايلول-٢٠٢٥م

الملخّص

يتناول هذا البحث الشعائر الحسينية بوصفها ظاهرة دينية واجتماعية مركبة، وذلك في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية والعقل، بهدف تقديم قراءة تحليلية شاملة لمشروعيتها ووظيفتها ودلالاتها وغاياتها. وقد اعتمد البحث على منهج استدلالي وتحليلي ومقاصدي، يسعى إلى تجاوز الخطابات العاطفية أو التقريرية، نحو بناء رؤية معرفية تكاملية.

بدأ البحث بتأصيل المفهوم وموقع الشعائر في التاريخ الإسلامي، ثم انتقل إلى دراسة الأدلة القرآنية والحديثية والعقلية التي تُثبت مشروعيتها، تلتها معالجة لأبعادها الوظيفية والتربوية والاجتماعية، ثم تحليل دلالاتها الرمزية والروحية، وانتهاءً باستجلاء الغايات الرسالية الكبرى لهذه الشعائر.

وقد خلص البحث إلى أن الشعائر الحسينية تستند إلى أسس شرعية وعقلية متينة، وتمثل رافدًا حضاريًّا وأخلاقيًّا في حفظ الهوية وإحياء القيم، إذا ما قُرئت في إطارها القصدي والوظيفي.

الكلمات المفتاحية: الشعائر الحسينية – المشروعية –الدلالة –المقاصد–العقل الإسلامي.

Abstract

This study explores the Husayni rituals as a complex religious and socio-cultural phenomenon through the lens of the Qur'an, the Prophetic Sunnah, and reason. The research aims to present a comprehensive analytical reading of their legitimacy, function, symbolic meaning, and ultimate objectives.

Using an evidential, analytical, and purposive methodology, the study moves beyond emotional or dogmatic discourse toward a balanced epistemological framework.

The research begins by establishing the concept and historical background of Husayni rituals, then examines the Qur'anic, Hadith-based, and rational proofs for their legitimacy. It proceeds to analyze their educational, ethical, and communal functions, as well as their symbolic and spiritual meanings, concluding with a discussion of their broader reformative and moral goals.

The study concludes that Husayni rituals rest on strong textual and rational foundations, and can serve as a moral and cultural force in preserving identity and reviving Islamic values—when approached through a balanced and goal-oriented lens.

Key Words English: Husayni rituals – legitimacy – symbolism – objectives – Islamic reason

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الثالث - العدد الأول - السنة الثالثة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
ربيع الأول - ١٤٤٧هـ ايلول-٢٠٢٥م

المقدمة

تُمثّل الشعائر الحسينية إحدى الظواهر الدينية البارزة التي شكّلت عبر التاريخ ركيزةً أساسية في وجدان الأمة الإسلامية، وبخاصة في وجدان أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام. فهي ليست مجرد طقوسٍ تُمارَس في موسم عاشوراء أو في مناسبات الحزن، بل هي بنية رمزية، ووجدانية، وثقافية متجذّرة تعبّر عن موقفٍ ديني وتاريخي عميق تجاه الظلم والانحراف، وتجسّد في ممارستها استمرارية للرسالة الإسلامية في بعدها الإصلاحي والجهادي.

لقد تباينت المواقف حول الشعائر الحسينية بين مؤيّد يُعلي من شأنها باعتبارها امتدادًا حيًّا لفريضة «تولّي أولياء الله والتبرّي من أعدائه»، وبين ناقدٍ يرى فيها ممارسات عاطفية لا تستند إلى أصل شرعي، أو تفتقر إلى المضمون المعرفي الرشيد، وقد أدّى هذا التباين إلى جدلٍ فقهي وعقائدي وفكري مستمر، خصوصًا في ظل التحديات المعاصرة التي تفرض إعادة قراءة الشعائر ضمن منظور شامل يجمع بين النص الشرعي، والعقل، والمقاصد العليا للدين.

من هنا تنبع أهمية هذا البحث، الذي يسعى إلى تقديم قراءة تحليلية متكاملة للشعائر الحسينية من خلال استنطاق النصوص القرآنية، والروايات النبوية، والأدلة العقلية، بغية الوقوف على مشروعيتها، ووظيفتها في البناء الديني والاجتماعي، ودلالاتها الرمزية، وغاياتها الإصلاحية.

إشكالية البحث: هل الشعائر الحسينية مؤسسة على منظومة شرعية وعقلية متكاملة؟ وما هي دلالاتها الوظيفية والرمزية في المنظور الإسلامي؟ وهل يمكن تقديم قراءة عقلانية/نصّية معاصرة تتجاوز الاختزال الشعوري أو الإسقاط الفقهي الضيق؟

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الثالث - العدد الأول - السنة الثالثة

أهداف البحث:

١. بيان المشروعية الشرعية والعقلية للشعائر الحسينية.

٢. تحليل الوظائف التربوية والاجتماعية والسياسية لهذه الشعائر.

٣. تفسير الدلالات الرمزية والروحية الكامنة فيها.

٤. الكشف عن الغايات الرسالية الكبرى المتحققة من إحيائها.

٥. تقديم رؤية معرفية وسطية تُسهم في ترشيد الخطاب حول الشعائر.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على:

- المنهج التحليلي: في محاولة فهم النصوص واستنباط الدلالات.
- المنهج الاستدلالي: في سعينا لإثبات المشروعية من القرآن والسنة والعقل.
- المنهج المقاصدي: الكشف عن الغايات والوظائف للشعائر الحسينية.
- المنهج النقدي: لمناقشة الإشكالات والاعتراضات المعاصرة.

الدراسات السابقة:

تناولت عدة بحوث مسألة الشعائر من جوانب جزئية، منها:

دراسة السيد محمد باقر الصدر في بُعد الشعائر التعبوي والاجتماعي.

بحوث السيد محمد حسين فضل الله التي سعت لإعادة عقلنة الشعائر ضمن سياق حضاري.

أبحاث ناقدة مثل أطروحات نصر حامد أبو زيد حول الشعائر بوصفها خطابًا جمعيًّا عاطفيًّا.

إلا أن ما يميز هذا البحث هو السعي لتقديم معالجة شاملة تُزاوج بين المرجعية النصية والعقلانية المقاصدية.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
ربيع الأول - ١٤٤٧هـ ايلول-٢٠٢٥م

حدود البحث ومجاله: يركّز البحث على الشعائر الحسينية الكبرى (العزاء، البكاء، اللطم، المسير، المواكب...).

يُعالج الشعائر في ضوء النصوص المعتمدة لدى المسلمين عمومًا، مع خصوصية في الروايات المأخوذة من التراث الإمامي الاثني عشري.

المبحث الأول
الإطار المفاهيمي والنظري للشعائر الحسينية

أولًا: المفهوم اللغوي والاصطلاحي والتاريخي للشعائر الحسينية

١. المفهوم اللغوي للشعائر: تعود جذور لفظ «الشعائر» في اللغة العربية إلى الجذر «شَعَرَ»، أي عَلِمَ وأدرك وأحسّ، ومنه «الشِّعار» الذي يُتّخذ علامةً ودلالةً على شيء معين، وقد وردت كلمة «الشعائر» في القرآن الكريم في سياق ديني تعبّدي، مثل قوله تعالى: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ»(البقرة :١٥٨)، وقوله: «ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ»(الحج:٣٢).

وقد فسّر علماء اللغة «الشعائر» بأنها العلامات الظاهرة التي يُقصد بها التقرب إلى الله تعالى، وتشير إلى مناسك مخصوصة تعبّر عن الإيمان والامتثال، كما في تفسير الراغب الأصفهاني في المفردات(الراغب الأصفهاني، ، مفردات ألفاظ القرآن الكريم،٢٠٠٣).

٢. المفهوم الاصطلاحي للشعائر الحسينية: تُطلق «الشعائر الحسينية» في الاصطلاح المعاصر على مجموعة من الممارسات العبادية والاجتماعية والرمزية

التي تُقام لإحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين ﷺ، وأهل بيته وأصحابه في واقعة كربلاء سنة ٦١ هـ، وهي شعائر تمثّل تعبيرًا عن الولاء والموقف، وليست مجرد حالة وجدانية.

وقد عرّفها السيد محمد باقر الصدر بأنها: «حركة رمزية جماعية تُستَنهض فيها الأمة لاستذكار مأساة الحسين وتأكيد رفض الظلم، في امتداد رسالي وليس في حدود الطقس المجرد»(الصدر، محمد باقر، الإسلام يقود الحياة،١٩٩٢). فهي ممارسات جماعية تعبدية شعبية تهدف لاحياء ذكر شهادة الامام الحسين ﷺ، ولها اهدافها وغاياتها.

٣. السياق التاريخي لنشأة الشعائر الحسينية: بدأت أولى ملامح الشعائر الحسينية بعد معركة كربلاء مباشرة، عندما ألقت زينب الكبرى ﷺ أول خطاب عزائي في الكوفة، يليه في الشام، حيث تحوّل الأسْر إلى منبر لكشف الجريمة، وهو ما سجله ابن طاووس في الملهوف:

«فصاحت زينب وقالت: يا أهل الكوفة، يا أهل الغدر والمكر... أتبكون؟ فلا سكنت العبرة، ولا هدأت الرنة»(ابن طاووس، علي بن موسى، الملهوف على قتلى الطفوف،١٩٩٠).

ثم أخذت الشعائر تتطوّر تاريخيًا عبر عصور الدول الإسلامية، خصوصًا في العصر البويهي (القرن الرابع الهجري) حين أُجيزت المواكب علنًا في بغداد، ثم تطورت أكثر في العصر الصفوي الذي احتضن تأسيس الشعائر بصيغ رسمية وهيكلية، ومنها التكايا، والمآتم، والتشابيه، والمسيرات، وقد وثّق ذلك الباحث محسن الأمين في موسوعته: (الأمين، محسن، أعيان الشيعة،١٩٨٣).

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الثالث - العدد الأول - السنة الثالثة

ثانيًا: موقع الشعائر الحسينية في البناء العقدي والاجتماعي

٦. الشعائر كامتداد لمنظومة الولاء والبراءة: الشعائر ليست طقوسًا معزولة، بل هي امتداد عملي لعقيدة الولاء لأولياء الله والبراءة من أعدائهم، وهو مبدأ قرآني واضح، كما في قوله تعالى: «قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»(الشورى :٢٣).

وقد أشار السيد عبدالحسين شرف الدين إلى أن الشعائر تُجسد الموقف الإيماني تجاه الحق والباطل، فهي ليست عاطفة، بل موقف عقائدي يترجم في الممارسة الرمزية(شرف الدين، عبد الحسين، الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء،١٩٨٧).

٧. الشعائر كهوية جماعية :تؤدي الشعائر دورًا أساسيًا في تكوين الهوية الجمعية للمجتمع الشيعي، فهي تعزز الانتماء، وتحفظ الذاكرة التاريخية، وتبني شعورًا بالتمايز الواعي لا الطائفي. وقد أشار إلى ذلك الدكتور عبد الجبار الرفاعي بقوله: «تُعيد الشعائر الحسينية إنتاج الانتماء الأخلاقي والرمزي لجماعة المؤمنين حول نموذج الحسين باعتباره مركزًا قدسيًا للوعي والضمير»(الرفاعي، عبد الجبار، الدين والظمأ الأنطولوجي،٢٠١١).

ثالثًا: الخصائص الجوهرية للشعائر الحسينية

١. البُعد الرمزي والتعبيري: الشعائر تُحمّل الرموز دلالات معرفية وروحية، فالسواد لا يُعبّر عن حزنٍ عاطفي فقط، بل هو رمز للحداد الجماعي على الحق المغتصب، واللطم ليس انفعالًا بل إعلان رفضٍ رمزي للعنف والاستبداد.

٢. الدورية الزمنية والاستمرارية: ارتباط الشعائر بالتقويم الهجري، خصوصًا في شهري محرم وصفر، يجعلها أداة تذكير سنوية تكرّس القيم وتستنهض الوعي.

٣. الجماعية والتفاعل العام: ليست الشعائر ممارسة فردية، بل حالة جماعية، وهذا يمنحها طابعًا تعبويًا وتأثيرًا سياسيًا، وقد وصفها مرتضى مطهري بأنها: «أداة لمقاومة خمود الروح الثورية في الأمة»(مطهري، مرتضى، الملحمة الحسينية،٢٠٠٤).

رابعًا: النقاشات الفكرية حول الشعائر الحسينية

٤. أطروحات المؤيدين: يرون أن الشعائر الحسينية عبادة مستندة إلى نصوص قرآنية وحديثية وممارسة تاريخية متواترة، ويستدلون بآيات مثل: «ومن يعظّم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب...» (الحج:٣٢)، وكذلك الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت في فضل البكاء، وإحياء أمرهم، كما في قول الإمام الرضا عليه السلام: «من جلس مجلسًا يُحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»(الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٩٩٠).

٥. اعتراضات المخالفين: يشكك البعض في مشروعية بعض الممارسات (مثل التطبير أو بعض المظاهر الشديدة)، ويرون أنها تسيء لصورة المذهب وتفتقر للدليل الشرعي، ويستندون إلى مفاهيم الضرر والنهي عن التمثيل بالبدن، ويُطالبون بعقلنة الشعائر وتجريدها من المبالغات.

٦. المناقشة والتحليل: لا بد من التمييز بين أصل الشعائر (المشروع والمستند) وبين بعض مظاهر التطبيق (القابل للنقد أو التقويم).

الشعائر ليست جامدة، بل تتطور تاريخيًا، ويجب ضبطها بالمقاصد دون تجريدها من رمزيتها، كل ممارسة داخل الشعائر ينبغي أن تخضع لمعايير:

المشروعية «من حيث النص»، المعقولية «من حيث الدلالة»، المقصدية «من حيث الأثر» وأغلب الشعائر الحسينية تجمع في حقيقتها هذه المعايير وتعكس نبض

وعاطفية المؤمنين، كما انه لا تتعارض مع المنطق والعقل والشرع، وتسير في مساحة المباحات في شرعنا المقدس.

المبحث الثاني
الأدلة الشرعية والعقلية على مشروعية الشعائر الحسينية

أولًا: الأدلة القرآنية على مشروعية الشعائر الحسينية

٧. قوله تعالى: «ذلك ومن يعظّم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب»(الحج: ٣٢).

هذه الآية تُعتبر من أهم النصوص القرآنية التي أسّست لمشروعية الشعائر التعبدية والرمزية، وقد فسّرها المفسرون بأنها تشمل كل ما جعله الله علامة على طاعته.

قال الطبرسي في تفسيره: «الشعائر: معالم الدين الظاهرة، ومنها ما يُفعل في المناسك أو غيرها، والآية تشمل التوسعة في ذلك»(الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار، ١٩٩٥).

وقد أيد ذلك القرطبي من علماء أهل السنة، حيث قال: «والشعائر: كل ما يُفعل لله تعالى ويقصد به تعظيمه، يدخل فيه الذبح والنحر والسعي والبكاء على الشهداء...» (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٩٦٨).

تحليل ومناقشة:

وان الآية لم تحصر الشعائر في الحج أو زمان دون زمان، بل جعلت «تعظيمها» من «تقوى القلوب»، وهو تعبير عن المشروعية المطلقة لكل ما يُعدّ علامة لله في الدين، مما يشمل إحياء ذكرى الإمام الحسين عليه السلام باعتباره رمزًا للحق والتضحية.

والبعض يحتج بأن الآية نزلت في مناسك الحج خاصة، ولا يصح تعميمها.

والرد عليهم يتضح بأن النسق القرآني لم يقيّد «الشعائر» بالحج، بل صرّح بعمومها في عدة مواضع، ويؤيده السياق المعنوي: «من تقوى القلوب» أي ما يصدر من نية صادقة لله، لا مجرد طقس خارجي.

٨. قوله تعالى: «قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودّة في القربى»(الشورى :٢٣).

أجمع كبار المفسرين الشيعة والسنة أن «القربى» هم أهل بيت النبيﷺ، وعلى رأسهم الحسن والحسين عليهما السلام.

قال الشوكاني في تفسيره: «لا خلاف بين أهل التفسير أن القربى في الآية هم علي وفاطمة وابناهما»(الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ١٩٩٤).

ويستدل من ذلك ان المودة تقتضي الإحياء، والتفاعل، والحزن لحزنهم، والفرح لفرحهم، وقد ورد في تفسير الميزان: «المودة لا تقتصر على التعلق القلبي، بل تستلزم مظاهر سلوكية، ومنها إحياء ذكرهم وإظهار ولائهم»(الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ١٩٩٧). وهذا يؤكد على إقرار الشعائر كتعبير صريح لتلك الحقيقة، وقد جاءت أحاديث صريحة تؤكد هذا المعنى وتكرّرت على لسان أكثر المعصومين لعدّة مرات ومنها:

عن الإمام علي عليه السلام:

« شيعتنا خُلقوا من فاضل طينتنا، وعُجِنوا بماء ولايتنا، يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا»(الصدوق، الخصال،، ١٤٠٣ هـ).

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

« إنّ الله خلقنا من نور عظمته، وصنعنا برحمته، وخلق شيعتنا من فاضل طينتنا، يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا»(الكليني، الكافي).

وهذان االحديثان وغيرهما الكثير لا يُفهم على أساس عنصري، بل يعبّر عن الرابطة الوجودية والروحية بين الأئمة وشيعتهم، ويدلّ على أن ولاية أهل البيت عنصر تكويني في هوية المؤمن الحقيقي، ويعكس مفهوم «الطينة النورانية» الذي يربط بين العقيدة والتكوين.

الحديث يؤكد على التبعية الوجودية لا الجبرية، بمعنى أن الانتماء الروحي لا يُغني عن العمل الصالح.

ثانيًا: الأدلة من السنة النبوية والروايات المعتبرة

١. حديث النبي صلى الله عليه وآله في الحسين عليه السلام «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينًا»(الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح – الجامع الكبير، ٢٠٠١):

ان تحليل هذا الحديث لا يدل فقط على علاقة نسبية، بل على رابطة روحية ورسالية بين النبي صلى الله عليه وآله والحسين عليه السلام، قوله «أنا من حسين» تعبير عن أن ديمومة الرسالة مرهونة بتضحيات الحسين، وبالتالي فإن إحياء قضيته امتدادٌ لرسالة النبي.

٢. حديث البكاء على الحسين عليه السلام: وردت أحاديث كثيرة تؤكد على البكاء على مصائب أهل البيت ومنها البكاء على الامام الحسين عليه السلام.

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «كل الجزع والبكاء مكروه إلا على الحسين عليه السلام» (الصدوق، الأمالي).

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «من تذكّر مصابنا وبكى لما ارتكب منا، كان معنا في درجتنا يوم القيامة»(الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٩٩٠).

وكذلك حديثه الموثوق للريان ابن شبيب بقوله: « يَا ابْنَ شَبِيبٍ: إِنْ سَرَّكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِنَ الثَّوَابِ مِثْلُ مَا لِمَنِ اسْتُشْهِدَ مَعَ الْحُسَيْنِ فَقُلْ مَتَى مَا ذَكَرْتَهُ : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ ، فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً... « (الصدوق، الأمالي،١٩٨٥؛ المجلسي، بحار الأنوار).

وتُشير هذه الروايات وغيرها الكثير إلى أن البكاء على الحسين عمل مستحب ومندوب إليه شرعًا، وهو تعبير وجداني له دلالة شرعية. وقد اعتبره العلماء صورة من صور إحياء «أمر أهل البيت» الذي وردت فيه نصوص كثيرة.

ثالثًا: الدليل العقلي والفطري على الشعائر: ويمكن أن نجملها بالآتي:

١. الفطرة تميل إلى تخليد الرموز والبطولات: العقل لا يستنكر استذكار الرموز والمظلومين، بل يرى فيه إحياءً للقيم، كما قال الشيخ محمد جواد مغنية:

«العقل لا ينكر الحزن، بل يقدّره إذا كان على مبدأ وقضية، والبكاء شعور صادق لا يمكن منعه باسم العقل»(مغنية، محمد جواد، الشيعة في الميزان،٢٠٠٠).

٢. الشعائر وسيلة للتربية الجماعية: فيرى الدكتور علي شريعتي أن الشعائر الحسينية ليست طقوسًا، بل وسيلة لبناء الإنسان المقاوم، إذ قال: «كانوا يريدون قتل الحسين، لكنهم أبقوه حيًّا فينا عبر الشعائر، لقد انتصروا عسكريًا، لكننا انتصرنا رمزيًا»(شريعتي، علي، العودة إلى الذات،٢٠٠١).

ويتضح مما تقدّم ان العقل لا يمنع الشعائر، بل يشترط أن تؤدي وظيفة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الثالث - العدد الأول- السنة الثالثة

عقلانية/ أخلاقية، وإذا تحولت إلى ضرر أو تشويه، تُراجع الوسائل لا الأصل. الشعائر تُستمد شرعيتها من النص والعقل معًا، وهي بذلك لا تتناقض مع المنظومة العقلية الإسلامية، بل تُكملها.

رابعًا: الرد على الشبهات والاعتراضات والرد عليها:

أ. الشعائر بدعة لا وجود لها في صدر الإسلام:

ويتجلى الرد عليها بأن البكاء والعزاء بدأ من زينب الكبرى، واستمر عبر الأئمة، وليس كل ما لم يُفعل في زمن النبي يُعدّ بدعة، ما لم يخالف أصلاً شرعيًا، وهو ما قرره الإمام الشافعي: «البدعة ما خالفت نصًا، أما ما وافق السنة فليست ببدعة»(الشافعي، الرسالة،٢٠٠٣).

ب. بعض الشعائر تُسيء إلى صورة الدين:

في مقام الرد لا بد ان نفرّق بين الشعيرة كمبدأ، والممارسة كوسيلة، فالسلوكيات التي تسيء يجب تهذيبها لا إلغاء الأصل الشرعي، كما أشار السيد محمد حسين فضل الله في قوله:»الإحياء مسؤولية، وليس ارتجالًا. علينا أن نُبقي على حرارة الحسين، ولكن بعقل ومنهج»(فضل الله، محمد حسين، خطاب عاشوراء: وعيٌ وحركة، ٢٠٠٥).

المبحث الثالث

الوظائف الدينية والاجتماعية والسياسية للشعائر الحسينية

أولًا: الوظيفة التربوية والأخلاقية:

١. الشعائر الحسينية وسيلة لغرس القيم الرسالية: تمثل الشعائر الحسينية مدرسةً تربوية متكاملة تزرع في نفوس المشاركين قيمًا أخلاقية مركزية، كالصدق، والشجاعة، ونصرة المظلوم، والتضحية من أجل المبدأ. وهي بذلك ليست طقوسًا انفعالية، بل وسائط رمزية لغرس الرسالة المحمدية بصيغة وجدانية حية.

وقد أشار السيد محمد باقر الصدر إلى هذه الوظيفة بقوله: «الشعائر الحسينية تبني الإنسان، لا بالوعظ المباشر، بل بالانخراط في تجربة وجدانية تجسّد الموقف»(الصدر، محمد باقر، في انتظار الإمام،١٩٩٦).

٢. تربية الوعي الجماعي وتجاوز الأنانية: تُعزز الشعائر روح التضامن الاجتماعي والتعاطف مع المظلوم، حيث يتحول الألم الفردي إلى وعي جماعي يعيد ربط الإنسان بقضايا الأمة.

كما أشار مرتضى مطهري إلى أن «المشاركة في الشعائر تُخرج الإنسان من الذات إلى الجماعة، ومن السكون إلى الحركة»(مطهري، الملحمة الحسينية).

ونلاحظ ان في مجتمعات يغلب عليها الطابع الفردي أو الاستهلاكي، تُعيد الشعائر بناء الضمير الجمعي، وتُحْيي الذاكرة الجماعية، مما يجعلها وسيلة فريدة في تربية القيم عبر الانفعال العاطفي الموجَّه بالوعي.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الثالث - العدد الأول - السنة الثالثة

ثانيًا: الوظيفة الاجتماعية والهوية الثقافية:

١. ترسيخ الهوية الدينية والمذهبية: تُشكّل الشعائر مظهرًا من مظاهر الهوية العقائدية المتميزة لأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، حيث يجد الفرد نفسه في جماعة مرتبطة بتاريخ مشترك، وألم مشترك، ومصير واحد.

وقد بيّن الدكتور علي شريعتي هذا البُعد بقوله: «المجتمع الذي يفقد طقوسه يفقد ذاكرته، والمجتمع الذي لا يتذكر لا يستطيع أن يقاوم»(شريعتي، علي، فهم الدين،٢٠٠٥).

٢. بناء الروابط الاجتماعية وتعميق الانتماء: الشعائر تُعيد تشكيل علاقات المجتمع عبر التعاون، والضيافة، والتكافل، والتنظيم في المواكب والمجالس.

وفي دراسة ميدانية أُجريت في مدينة كربلاء حول الأثر الاجتماعي للشعائر، وُجد أن نسبة المشاركة في المواكب العائلية تتجاوز ٨٠٪، ما يدل على دورها في تقوية النسيج الأسري والجماعي.

ويتضح من ذلك ان الشعائر الحسينية تلعب دورًا وظيفيًّا بديلاً عن المؤسسات الاجتماعية في حالات ضعف الدولة أو غياب العدالة الاجتماعية، فهي توفّر شعورًا بالانتماء، وتعوّض عن الغُربة الروحية في زمن الاستلاب.

ثالثًا: الوظيفة السياسية والتحفيز الثوري:

١. الشعائر كآلية لرفض الظلم والانحراف: الشعائر، ولا سيما البكاء على الحسين، ليست تعبيرًا عن الحزن فحسب، بل هي إعلان مستمر أن الحق لا يُنسى، وأن الظلم

لا يُشرعن.

٢. الشعائر كخطاب تعبوي مقاوم: يُمكن للشعائر أن تتحول إلى أداة تعبئة اجتماعية مقاومة، كما حدث في انتفاضات الشيعة في العراق وإيران ولبنان، حيث شكّلت المجالس الحسينية منابر للوعي، يقول السيد محمد حسين فضل الله: «علينا أن نحافظ على حرارة كربلاء، ولكن نُحسن إدارتها... فالشعائر خطاب وليس انفعالًا»(فضل الله، خطاب عاشوراء).

والبعض يعترض على «تسييس الشعائر»، لكن الحقيقة أن الشعائر منذ نشأتها كانت سياسية بامتياز، لأنها تأسست على الصراع بين العدل والانحراف، بين الحق والباطل، فهي ليست تسييسًا للدين، بل تدينًا للسياسة بمعناها الرسالي.

ومن هنا يجب الانتباه إلى أن الوظيفة التربوية والسياسية للشعائر لا تعني استعمالها لأهداف حزبية أو سلطوية، لا بد من التفريق بين الشعائر كرمز مقدّس، وبين توظيفها السياسي السلبي الذي قد يُفرّغها من بعدها القيمي.

والخلاصة: الشعائر الحسينية تؤدي ثلاث وظائف أساسية: تربوية (بناء الوعي القيمي)، اجتماعية (تعزيز الهوية والانتماء)، سياسية (رفض الظلم واستنهاض الأمة).

هذه الوظائف قائمة على أسس شرعية وعقلانية ومجتمعية، وليست مجرد انفعالات أو موروثات.

التحدي الحقيقي هو الحفاظ على هذه الوظائف وتطويرها، دون الوقوع في الإفراط أو التفريط، أو الاستخدام الشعبوي والسطحي لها.

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الثالث - العدد الأول - السنة الثالثة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
ربيع الأول - ١٤٤٧هـ ايلول - ٢٠٢٥م

المبحث الرابع
دلالات الشعائر الحسينية وغاياتها الرسالية
في ضوء القرآن والعقل

أولًا: البُعد الرسالي والدلالة القرآنية للشعائر:

١. الشعائر بوصفها تذكيرًا دائمًا بالموقف الإلهي من الظلم والانحراف: يقدّم القرآن الكريم مفاهيم متكررة عن الشهادة، الصراع بين الحق والباطل، وموقف الأنبياء من الطغاة. والشعائر الحسينية ليست غريبة عن هذا الخطاب، بل تُجسِّد في الوجدان والواقع هذا الموقف الإلهي.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ (آل عمران: ١٦٩).

تحليل: هذه الآية الكريمة تجعل من الشهادة في سبيل الله حدثًا مستمرًا في الوعي الجمعي، وهنا يتجلى الهدف من الشعائر الحسينية: حفظ هذا المعنى وتجديده في كل جيل.

٢. الشعائر بوصفها إحياءً لأمر أهل البيت عليهم السلام: يروي زرارة عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أحيوا أمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا»(الحر العاملي، وسائل الشيعة).

ان إحياء الأمر هنا لا يقتصر على التعليم، بل يشمل الشعائر والرموز والممارسات التي تبقي ذكرهم حيًّا، لا بوصفهم أشخاصًا، بل كمشروع ديني وقيمي.

ثانيًا: الشعائر كوسيلة لإدامة مشروع الإصلاح:

٣. الشعائر تذكّر بغايات ثورة الحسين: قال الإمام الحسين عليه السلام: «إني لم أخرج أشِرًا ولا بطرًا، ولا ظالمًا ولا مفسدًا، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي...» (الشيخ

المفيد، الإرشاد، مؤسسة آل البيت،١٩٩٣).

ان هذا النص يؤسس لفكرة أن الحسين عليه السلام ليس رمزًا للحزن، بل رمزٌ لحركة إصلاحية عابرة للزمن. فكل شعيرة تربطنا بهذا المشروع، هي استمرار له.

٤. الشعائر كمشروع مقاومة ثقافية: في عصر طغيان الاستهلاك والمادية، تقدّم الشعائر الحسينية خطابًا بديلًا يؤكد القيم الروحية والعدالة، وقد لاحظ المفكر ورجل الدين البوطي أن «كربلاء ليست مذهبًا، بل ضميرٌ حر»(البوطي، محمد سعيد رمضان،٢٠٠٣).

ثالثًا: غايات الشعائر بين الدين والعقل:

١. الشعائر في ميزان العقل العملي والأخلاقي:

الشعائر لا تتعارض مع العقل، بل تخاطب العقل العملي، الذي يهتم بالغايات، كالمروءة، العدل، ونصرة المظلوم.

يقول الفيلسوف إيمانويل كانط: «احترم الإنسان فيك، واعمل بما يُبقي الإنسان إنسانًا»(إيمانويل كانط، أسس ميتافيزيقا الأخلاق،١٩٧٤). والشعائر الحسينية هي تعبير عن هذا الاحترام للكرامة.

يعترض البعض على الشعائر من منطلق عقلاني، ينطلق من فهم تجريدي للعقل، غير مرتبط بالوجدان الإنساني ولا بواقع الممارسة الدينية.

٢. أهداف الشعائر بين التعبد والغاية الرسالية: لا يمكن حصر الشعائر في بعدها التعبدي فقط، لأن الرسالة المحمدية نفسها هي دعوة إصلاحية شاملة.

الشعائر الحسينية، بحسب السيد محمد باقر الحكيم، «ليست غاية، بل وسيلة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الثالث - العدد الأول - السنة الثالثة

لربط الأمة بالإمام الحسين، ومشروعه في الإصلاح الدائم» (الحكيم، محمد باقر، محاضرات عاشوراء،٢٠٠٢).

ان وظيفة الشعائر السامية هي إيجاد حالة التوازن الفكري: بين التديّن الحي والتقليد الميت.

الخطر ليس في الشعائر، بل في جمودها عن وظيفتها الرسالية.

ونؤكد دائمًا أن «علينا أن نحافظ على حرارة العزاء، ولكن مع وعي الغاية».

الخلاصة:

١. الشعائر الحسينية ليست غاية ذاتية، بل وسيلة ذات غايات معرفية، إصلاحية، روحية.

٢. تُجسّد الشعائر رسالة الحسين عليه السلام في أبعادها القرآنية والعقلية والاجتماعية.

٣. تستمد الشعائر مشروعيتها من القرآن، والسنة، والعقل، والتجربة التاريخية للمسلمين.

٤. يجب تحرير الشعائر من الجمود والتقليد، وتفعيلها كوسيلة لبناء الإنسان الرسالي.

الخاتمة

أولًا: الخلاصة العامة:

تناول هذا البحث الشعائر الحسينية بوصفها مظهرًا دينيًّا وشعبيًّا راسخًا في وجدان الأمة، ودرس مشروعيتها من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية والعقل السليم، مع تحليل وظيفتها الرمزية والرسالية في السياقين الديني والاجتماعي. وتم التركيز على كشف الدلالات الفكرية والمعنوية الكامنة خلف الممارسات الشعائرية، مع مناقشة الانتقادات الموجهة لها من بعض الاتجاهات الإسلامية أو الحداثية،

وموازنة تلك المواقف بمنهج علمي معتدل ينأى عن التهويل أو التسطيح.

كما حاول البحث ربط الشعائر بالحركة الإصلاحية التي انطلق بها الإمام الحسين ﷺ، باعتبارها رمزًا مستمرًا للثورة على الظلم، وتجسيدًا للوعي الديني الحي، مع التأكيد على أهمية تفعيلها كوسيلة لبناء الوعي لا كطقوس جوفاء.

ثانيًا: أبرز النتائج:

١. الشعائر الحسينية مشروعة شرعًا، وتستند إلى أدلة معتبرة من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأقوال أئمة أهل البيت ﷺ، بالإضافة إلى المقبولات العقلية والمنطقية.

٢. تُعدّ الشعائر وسيلة فعالة لإحياء أمر أهل البيت ﷺ، وترسيخ قيم الثورة والكرامة والعدالة في الوجدان الإسلامي.

٣. تمثل الشعائر الحسينية أداة مقاومة ثقافية ومعنوية ضد مشاريع التزييف والانحراف، ولها دور اجتماعي وتربوي مهم في تشكيل الهوية الدينية.

٤. الاعتراضات العقلية أو الفقهية على بعض الشعائر تنطلق غالبًا من سوء فهم وظيفتها الرمزية أو إسقاطات مذهبية أو فكرية حداثية.

٥. تختلف مراتب الشعائر من حيث الأهمية والارتباط بالنصوص، لذا لا يصح التعميم في الحكم على مشروعيتها أو نفعها، بل ينبغي التفصيل والتمييز.

ثالثًا: التوصيات:

١. ضرورة تعزيز الخطاب المعرفي العقلاني في شرح الشعائر، لا سيما للشباب، لتكون أداة تواصل حضاري وروحي واعٍ مع القيم الحسينية.

٢. تشجيع المؤسسات الدينية والبحثية على تطوير الدراسات الأكاديمية حول الشعائر

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
www.arbnj.com
المجلد الثالث - العدد الأول - السنة الثالثة

الحسينية، وتحليلها من زوايا متعددة: فقهية، اجتماعية، أنثروبولوجية، ونفسية.

٣. العمل على ترشيد الممارسات الشعائرية دون تجميدها أو إنكارها، من خلال الربط الواعي بين الشكل والمضمون.

٤. التركيز على البعد الرسالي والتربوي للشعائر، وإبراز ارتباطها بمفاهيم الإصلاح، والعدالة، ومواجهة الاستبداد، بدل اختزالها في البُعد العاطفي فقط.

٥. دعوة العلماء من مختلف المذاهب الإسلامية إلى قراءة منصفة موضوعية للشعائر الحسينية، بعيدًا عن التصورات المسبقة أو التوظيف السياسي.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الأمين، محسن.

١. أعيان الشيعة. بيروت: دار التعارف، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

- إيمانويل كانط.

٢. أسس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة: فؤاد زكريا، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.

- البوطي، محمد سعيد رمضان.

٣. من روائع الإمام عليّ. دمشق: دار الفكر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

- الترمذي، محمد بن عيسى.

٤. الجامع الكبير. بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١م.

- الحر العاملي، محمد بن الحسن.

٥. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة. قم: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م.

- الحكيم، محمد باقر.

٦. محاضرات عاشوراء. النجف الأشرف: مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد.

٧. مفردات ألفاظ القرآن الكريم. دمشق: دار القلم، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣م.

- ٠ الرفاعي، عبد الجبار.

٨. الدين والظمأ الأنطولوجي. بيروت: دار التنوير، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

- الشافعي، محمد بن إدريس.

٩. الرسالة. بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

- شرف الدين، عبد الحسين.

١٠. الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء. قم: مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

- شريعتي، علي.

١١. العودة إلى الذات. بيروت: دار الأمير، الطبعة الثالثة، ٢٠٠١م.

١٢. فهم الدين. بيروت: دار الأمير، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.

- الشوكاني، محمد بن علي.

١٣. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. دمشق: دار ابن كثير، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

- الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان.

١٤. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد. بيروت: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.

- الصدر، محمد باقر.

١٥. الإسلام يقود الحياة: لمحة تمهيدية عن مشروع الشعائر الحسينية. بيروت: دار التعارف، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

- الصدر، محمد باقر.

١٦. في انتظار الإمام. بيروت: دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.

- الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي.

١٧. الأمالي. قم: دار الثقافة، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

١٧. الخصال، تحقيق علي أكبر الغفاري، طبع جماعة المدرسين، قم، ١٤٠٣هـ.

- ابن طاووس، علي بن موسى.

١٨. الملهوف على قتلى الطفوف. بيروت: مؤسسة المرتضى، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

- الطباطبائي، محمد حسين.

١٩. الميزان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الخامسة، ١٩٩٧م.

- الطبرسي، فضل بن الحسن.

٢٠. مجمع البيان في تفسير القرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى،

١٩٩٥م.

- فضل الله، محمد حسين.

٢١. خطاب عاشوراء: وعيٌ وحركة. بيروت: دار الملاك، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري.

٢٢. الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٦٧م.

- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي.

٢٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. تحقيق: محمد الباقر البهبودي. بيروت: مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

- مطهري، مرتضى.

٢٤. الملحمة الحسينية. قم: مؤسسة في طريق الحق، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٤م.

- مغنية، محمد جواد.

٢٥. الشيعة في الميزان. بيروت: دار التعارف، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٠م.